فصل تمهيدي

أولاً : التوزيع القبلي .

ثانياً : الحبشة والتجمعات المسيحية.

ثالثاً : انتشار الإسلام والممالك الإسلامية.

- دخول الإسلام أفريقيا.
- الممالك الإسلامية.

١- السنغال.

٢- غانا.

٣- مالي.

٤- كانم

٥- شرق أفريقيا الإسلامي.

obeikandi.com

أولاً : التوزيع القبلي :

كانت خطوات العرب الموفقة في شمال أفريقيا التي امتدت إلى غرب أفريقيا ، وبرزت قوتها في القيروان وقرطاجنة وتلمسان وطنجة مدخلاً لهجرات ضخمة إلى حدود السودان الشمالية في عهد عقبة بن نافع ، واتصلت عمليات المد ، حين أغارت قبائل بني هلال التي أرسلها الحاكم الفاطمي لتأديب البربر في الشمال الأفريقي ، من هنا تدفق البربر في الصحراء وإلى السودان ، فلما طرد المسلمون من الأندلس تدفق سيل الهجرات إلى دارفور حيث تكونت الممالك الإسلامية [١].

يوجد عدد من القبائل العربية التي هاجرت واستقرت في السهول الساحلية شرق أفريقيا خاصة المحيطة بأرض الحبشة ، وبمضي الوقت تحولت المراكز الإسلامية إلى إمارات أو ممالك إسلامية أطلق عليها البعض اسم إمارات أو سلطنات الزيلع الإسلامية وأطلق عليها المقريزي ممالك اسم الطراز الإسلامي [٢].

وتزداد نسبة العرب والبربر عادة في الشمال ، أما الزنوج فيكثرون بجنوب خط عرض ١٢.

وقد حدث اختلاط بين العرب والزنوج. وإن احتفظت بعض القبائل الزنجية بصفاتها إذ لم تختلط بغيرها في بعض الكتل الجبلية مثل : ملفي ، وأبو ضيا.

وأشهر قبائل الجنوب (قبيلة السارا) التي تنتشر في المقاطعات التشادية الجنوبية الخمس ، كما تنتشر في جمهورية إفريقية الوسطى ، وقد انتشرت النصرانية في هذه القبيلة ، وكان منها رئيساً لجمهورية السابقين.

ومن القبائل القديمة البلالا ، والتاما ، والأرنجا ، والموسجو ، والقرعان وغيرهم [٣].

وتتركز الغالبية العظمى في الجزء الجنوبي من البلاد وخاصة على ضفاف نهر النيجر ، ثم حول نهر السنغال ، وأهم القبائل في مالي هي :-

١- **الماندينغ** : وتقدر نسبتهم من ٤٠ % من مجموع السكان ، ويحملون أسماء مختلفة، فالعرب يسمونهم (مليل) ويقول الفولانيون (مالي) ويسميهم البربر (مليت) والهاوسا يطلقون عليهم اسم (وانقاره) ولعل هذا الاسم يطلق على فرعين منها وهما "السوننكي والديولا" ويسميهم التكرور (المالنكي) والغامبيون يسمونهم (ماندينغ) وهم يسمون أنفسهم (الماندي)

٢- **السنغاي** : وهم يعيشون عند ثنية نهر النيجر ، وتبلغ نسبتهم ١٢ % من السكان ، ويعملون بصيد السمك.

٣- **الفولاني** : ولهم أسماء كثيرة أيضاً ، ويشكلون ١٠ % من سكان البلاد.

٤- **البرنو** :

٥- **التوكلور** : وتعيش في الغرب قرب السنغال.

٦- **الموش** : وتعيش في الجنوب قرب فولتا العليا . وأكثرهم لا يزال على الوثنية.

٧- **السينوفو** : وتقطن هذه القبائل قرب ساحل العاج وفولتا العليا عند أعالي النيجر ونهر فولتا وتشكيل ٣.٥ % من سكان بلاد مالي.

٨- **الماركاكا** : ويشكلون ٦ % من السكان.

٩- **الدوجون** : ويشكلون ٣.٥ % من سكان مالي.

١٠- **الطوارق** : ويعيشون في الشمال ويعرفون باسم الملثمين.

١١- وهناك مجموعة صغيرة من العرب تعيش بالقرب من (تومبوكو).

يشكل المسلمون ٩٣ % من السكان ، على حين تبلغ نسبة الوثنيين ٦ % ومعظمهم من (البامبارا) التي هي فرع من (الماندينغ) ومن قبائل (الموش) ويشكل النصارى ١ % فقط من السكان ، ولكل مجموعة لغتها الخاصة ، واللغة الفرنسية هي الرسمية ، وقد فرضت بعد دخول الفرنسيين [٤].

يتكون السودان العربي من مجموعتين كبيرتين جداً هما المجموعة الجعلية والكواهلة وتمثل العدنانيين من عرب شمال الجزيرة العربية ، وقد تركزت هذه المجموعة على النيل ما بين الخرطوم جنوباً وبلاد النوبة شمالاً ، كما توزع بعضها في البطانة وبالقرب من النيل الأزرق والأبيض في كردفان وتحت هذه المجموعة قبائل :

١- الجعلية : من خانق سبلوقة إلى العطبرة.

٢- الميرفاب : إلى شمال العطبرة حول بربر.

٣- الرباطاب : من بربر إلى أبي حمد.

٤- المناصير : من أبي حمد إلى آخر الشلال الرابع.

٥- الشايقية : من الشلال الرابع إلى إقليم الدبة.

٦- الجوابرة (أولاد جابر) : داخل النوبة بين الدناقلة والمحس.

٧- الركابية : ويشك في نسبتهم للجعليين وهم في المحس.

٨- الجمع : غرب النيل الأبيض إلى الجنوب من الكواهلة.

٩- المجموعية : شمال وجنوب أم درمان.

١٠- البديوية : في النوبة وفي كردفان.

١١- الجوامعة : في وسط كردفان.

١٢- الفريات : جنوب الأبيض.

١٣- البطاحين : شمال البطانة.

أما الكواهلة فهي مجموعات صغيرة بالنسبة للجعلية وقد جاورت البجة وصاهرتها.

وبنى جهينة من قضاعة من القحطانيين ينتسبون إلى جهينة بين زيد بن ليث بن مسلم بن قضاعة وكان جيش عمرو بن العاص يضم أكبر عدد منهم ومجاميعها:

١- رفاعة وخيوطها القواسمة والعبدلاب والعركبون.

٢- العواقرة والخوالدة.

٣- الشكرية.

وديارها : دار حامد والزيادية والبزغة والشنابلة والمعاليا في وسط كردفان ، ثم الدويحية والمسلمية والبقارة والمحاميد والكبابيش والمغاربة والحمر وهم في كردفان ودارفور.

وقد أحصيت قبائل السودان فكانت ٢١٤ مائتين وأربع عشر قبيلة (٥) وجنوب السودان يتكون من ثلاثة أقاليم : إقليم أعالي النيل ، وإقليم بحر الغزال ، والإقليم الاستوائي ، **وتنقسم المجموعات القبلية التي تقطنه إلى ثلاثة مجموعات وهي :-**

١- القبائل النيلية : وتشمل الشلك والدينكا والنوير.

٢- القبائل النيلية الحامية : وتشمل اللاتوكا والتبوسا والردنقا.

٣- قبائل نزحت للجنوب من غرب أفريقيا أهمها قبيلة الزانجي (٦).

ثانياً : الحبشة والتجمعات المسيحية :-

تقع الحبشة في شرق أفريقيا في منطقة القرن الأفريقي بين خطي عرض ٤ ، ١٨ شمالاً ، وخطي طول ٣٣ ، ٤٨ شرقاً.

ولهذا الموقع أهمية خاصة ، فهي تعتبر بمثابة الجسر الذي يربط بين القارتين الأفريقية والأسيوية فلا يفصلها عن الساحل الأسيوي - إلا مسافة ضيقة تقل عن عشرين ميلاً ، ويحدها من الغرب والشمال - السودان ، ومن الشمال البحر الأحمر ، ومن الشرق والجنوب - الصومال ، ومن الجنوب كينيا.

والهضبة الحبشية يتراوح متوسط ارتفاعها بين ٧.٠٠٠ ، ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر - لكن الهضبة تترك بينها وبين ساحل البحر الأحمر سهلاً ساحلياً.

ونشير إلى أن اسم الحبشة (Abyssinia) اشتق من اسم قبيلة (حبشت) اليمنية ، وقد هاجرت هذه القبيلة من الجزيرة العربية قبل الميلاد بعدة قرون ، واستقرت بهذه البلاد واعطتها اسمها ، ولا نستطيع أن نحدد تاريخاً معيناً لبداية العلاقات بين عرب شبه الجزيرة والأحباش ، فشبه الجزيرة العربية تواجه الحبشة ، ولا يفصل بينهما إلا البحر الأحمر ، وهو بحر ضيق ، ويكاد يلتقي ساحلاه الأفريقي والأسيوي في الجنوب عند مضيق باب المندب ، بحيث يمكن القول أن هذا البحر كان عامل وصل بين سكان شبه الجزيرة العربية ، وسكان الساحل الأفريقي وما وراءه أكثر منه عامل فصل ، خاصة أن الملاحة في البحر الأحمر سهلة متيسرة طوال العام ، فلا تكاد تهب زوابع أو أعاصير تعرض الملاحة فيه للخطر إلا بضعة أيام في السنة.

وقد كانت للحبشة تجارة زاهرة ، إذ كانت تصدر البن ، والصمغ ، والعاج ، وريش النعام ، والأغنام ، والأبقار ، والجلود في مقابل استيراد الأرز الهندي والبلح ، والأقمشة القطنية ، والدخان ، والحديد وغيرها ، ولا شك في أن العرب كانوا يلعبون دوراً هاماً في هذا التبادل التجاري الذي كان يتم في الغالب عن طريق المقايضة إلى أن عرفت العملات القديمة [٧].

ومن أقدم المماليك الحبشية مملكة أكسيوم في هضبة تيجري ظهرت في القرن الأول الميلادي واتخذ ملكها عيزانا (أذينة) لقب نجاشي أي ملك الملوك واعتنق المسيحية على مذهب كنيسة اليعاقبة في مصر على يد الشقيقين فروفتيوس وايديسيوس عام ٣٥٠م ، وقد تمكنت هذه الدولة من احتلال اليمن وحاولت هدم الكعبة تعصباً للنصرانية عام الفيل الذي شهد مولد رسول الله ﷺ ، ثم أذن للمسلمين بالهجرة إلى أرض الحبشة وأكرم النجاشي وفادتهم وكان أول من أسلم من أهل هذه البلاد وعندما راسل ﷺ الملوك والأمراء سنة ٦ هـ ، أرسل كتاباً إلى نجاشي الحبشة [٨].

وكانت المسيحية قد وصلت إلى الحبشة في القرن الرابع الميلادي عن طريق مصر ، وأصبحت الكنيسة الأثيوبية تابعة للكنيسة المصرية الأرثوذكسية (كنيسة الإسكندرية) التي تكفلت بإرسال رجال الدين لها ، وقد ظلت الصلة بين الكنيسة المصرية

والكنيسة الإثيوبية إلى يومنا هذا وإن كانت قد اختلفت نوع هذه العلاقة بين الكنيستين وتطورت مع تطور العلاقة السياسية بين مصر وأثيوبيا [٩] وتقدر نسبة المسلمين بثلثي السكان والباقي من النصارى والأقباط ، وقد انتشرت النصرانية في الحبشة في القرن الثالث قبل الهجرة ، ومن قبل قامت مملكة (أكسوم) [١٠].

نشوء مملكة الأمهرا :

بعد هزيمة حكم أكسوم لليمن على أيدي الفرس واليمنيين وهيمنة الفرس على البحر الأحمر وانحسار النفوذ الروماني من عدوليس وموانئ البحر الأحمر الأخرى ، بدأت سلطة أكسوم تضعف ، وزاد عزلتها زحف قبائل البجة القوية وانتشارها من مملكة النوبة ووادي النيل إلى شاطئ البحر الأحمر حيث طاب لهم المرعى ، فتوغلوا في هضبة أريتريا والتجراي ، ولم يكن لمملكة أكسوم أي حول أو قوة للوقوف في وجههم ، فاستولوا في طريقهم على منطقة الحماسين ثم زحفوا نحو أكسوم ، مما اضطر شعب أكسوم إلى الهجرة إلى الجنوب ، وبسيطرة العرب المسلمين على سواحل البحر الأحمر ومصر وبلاد الشام ، واندحار الإمبراطورية الرومانية البيزنطية ، حليفة أكسوم ومصدر ثرائها المادي والروحي أمام الزحف العربي ، وانقطعت صلة أكسوم بالعالم.

ولم تعد أكسوم في القرن الثامن الميلادي بمستطيعة أن تحتفظ باستقلالها إلا في مقاطعة تجراي والأماكن الجنوبية منها التي اضطروا إلى النزوح إليها ، حيث كانت تعيش قبائل الأقو الوثنية.

ونشر سكان أكسوم لغتهم – جئز – وديانتهم المسيحية الأرثوذوكسية بين هذه القبائل الوثنية وتمازحوا معها ، وأولئك بالأصل قوم من الكوش ، وتكونت من التمازج خلال القرون الثلاثة عناصر جديدة طورت لغة خاصة لها سميت (بالأمهرا) واحتلت هذه العناصر أقاليم تجراي ولاستا ، التي كانت تسمى إقليم الأمهرا وشوا وغوجام . وهكذا فإن الأمهرا هم قوم نتج من التزاوجات التاريخية بين سكان أكسوم ذوي الأصول السامية

الكوشية مع القوم من الكوش عنصراً وثقافة ، فهم إذا القوم الهجين الذين غلبت عليهم الثقافة السامية.

ومنذ ذلك الوقت بدأت تتكون ما يمكن أن نطلق عليه (دولة الحبشة) الحقيقة تمييزاً لها عن دولة أكسوم التي اضمحلت وتميزت بطابعها الخاص وهذا الهجين المختلط (الأمهرا) إنما هو نتاج تفاعل من طبقة الساميين وأهل البلاد الحاميين ، ومن بينها قبائل الأقو الكثيرة العدد ، وتعددت اللغات والطوائف في هذه المملكة الجديدة ، ولكن اللغات السامية سادت (جئز – أمهرية) والديانة الأرثوذكسية المسيحية.

وفي منتصف القرن العاشر الميلادي وجد اليهود الفرصة سانحة لامتلاك ناصية حكم البلاد بعد أن ازدادت حالة البلاد سوءاً على أثر تدمير مملكة أكسوم وانعزالها عن العالم الخارجي ، فقامت امرأة يهودية كانت متملكة على قبيلة (الفلاشا) اليهودية من عنصر الأقو في منطقة سمين الواقعة شمال الحبشة ، وهي منطقة نفوذ يهودي منذ عصر قديم ، ويطلق على هذه الملكة (بوديت) أو (أستير) وزحفت على رأس ثوار اليهود تساعدها جموع من قبيلة زاقوي ، وهم فرع من الأقو الكوشين ، وغزت الملكة البلاد وأحرقت المدن وخربت الكنائس واستولت على مملكة أكسوم وذبحت كل الثوار المسيحيين الذين كانوا يتحصنون في قلعة (دامبو) ونصبت نفسها ملكة على البلاد [١١].

وقد سجل لنا التاريخ مراحل متعددة من الصراع بين ممالك الطراز الإسلامي ومملكة الحبشة المسيحية – فقد طمع الأحباش في مد سلطانهم لهذه الممالك التي تتحكم بحكم موقعها في منطقة القرن الأفريقي في التجارة الخارجية عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر.

هذا ونشير إلى أن الأحباش كانوا يتابعون أخبار الحملات الصليبية الدائرة في بلاد الشام ، وكان ملوك الحبشة يطمعون في أن يسهموا في هذه الحروب ، وجرت اتصالات بينهم وبين ملوك أوربا بهدف قيام حلف مسيحي يكون للأحباش دور فيه بمهاجمة الدول الإسلامية من الجنوب.

ولما وصل البرتغال إلى شرق أفريقيا كان من أهدافهم الاتصال بالحبشة للإنفاق على عمل مشترك ضد القوى الإسلامية – وكانت الملكة هيلانة ملكة الحبشة قد أرسلت في عام ١٥١٠ م رسولاً إلى الملك عما نويل ملك البرتغال بهدف الاتفاق على هذا العمل ، ومن ضمن ما جاء في رسالة ملكة الحبش إنها لا تعمل على مهاجمة المسلمين المتمركزين في السهول المحيطة بالحبشة فحسب – لكنها أيضاً تنوي مهاجمة مكة وهي في هذا بحاجة لمساعدة الأسطول البرتغالي الذي أحرز انتصارات حاسمة على الأساطيل الإسلامية في المحيط الهندي.

ونشير إلى أن البرتغال استجابت لهذا الطلب الحبشي والذي باركته وزكته البابوية فأرسلت قوة على رأسها أحد أبناء فاسكودا جاما ، وقد منيت القوات البرتغالية بخسائر فادحة وقتل قائدها – لكن لم تستطيع القوات الإسلامية أن تحقق نصراً حاسماً على الحبشة والقوات المؤازرة لها [١٢].

أرسل البرتغاليون في أوائل سنة ١٥٢٤ حملة كبيرة إلى مصوع بقيادة دي سلفيرا وكان الهدف من إرسالها إستعادة المبعوث البرتغالي إلى بلاط ملك الحبشة ، وقد قدم حاكم عدن المؤن للحملة أثناء ذهابهم فقد أجبر حاكمها عند عودته على عقد معاهدة مع البرتغاليين نصت على أن تدفع عدن جزية سنوية للبرتغاليين ، وأن تسمح للسفن البرتغالية باللجوء إلى مينائها في أي وقت ، ولكن نائب الملك في الهند رفض اعتماد تلك المعاهدة على أساس أنها تضييع للجهود البرتغالية ، ولم تلبث القوات البرتغالية أن ضربت بمدافعها عدن أثناء اتجاهها إلى مصوع في سنة ١٥٢٥ ، ولكنها لم تحقق شيئاً من النجاح ، كما حاول دي سلفيرا في أثناء عودته من مصوع في سنة ١٥٢٦ مهاجمة عدن ولكن الرياح أبعدت سفينة عنها ، وعلى الرغم من الفشل المتكرر أمام عدن فقد استطاع دي سلفيرا في فبراير سنة ١٥٣٠ عقد معاهدة مع حاكم عدن اعترف فيها بالسيادة البرتغالية على عدن ، ودفع جزية سنوية للبرتغاليين ، واعترف البرتغاليون بحق العدنيين في الملاحة في المحيط الهندي بشرط عدم ذهاب سفنهم إلى جدة ، ولضمان تنفيذ بنود

المعاهدة ترك البرتغاليون إحدى سفنهم الحربية وعليها أربعون برتغالياً في ميناء عدن ، ولم يكتب لتلك المعاهدة الاستمرار إلا مدة قصيرة بعد رحيل دي سلفيرا عن عدن ، إذ قبض حاكم عدن على البرتغاليين الموجودين في الميناء واستخدمهم في صنع الأسلحة ، وأعلن دخوله في طاعة العثمانيين.

حاول البرتغاليون في سنة ١٥٢٣ استعادة مبعوثهم من بلاط ملك الحبشة فأرسلوا حملة هاجمت ميناء الشحر ونهبته أثناء ذهابهم إلى مصوع ، ولكنها فشلت في تحقيق هدفها ، ولم ييأس البرتغاليون من استعادة سفيرهم فأرسلوا الحملات السنوية إلى البحر الأحمر حتى أمكنهم استعادته فيما بعد ، وكان المبعوث البرتغالي يحمل خطابين من ملك الحبشة ، كما صحبه سفير من قبل تعاون بينه وبين البرتغال ، ولكنه لم يعلن عن رغبته في الاشتراك مع البرتغاليين في إعلان الحرب على المسلمين، وفي نفس الوقت أخذ يحرض ملك البرتغال على الاستمرار في محاربة المسلمين حتى يتم القضاء عليهم نهائياً ، والاستيلاء مرة أخرى على بيت المقدس ، وإذا كان ملك الحبشة لم يحدد في خطابيه كيفية التعاون مع البرتغاليين فقد طلب منهم أن يقدموا له المساعدات حتى يستطيع الوقوف في وجه القوى الإسلامية المحيطة به ، كما طلب إبقاء البعثة الدينية البرتغالية الموجودة في الحبشة لنشر الدين المسيحي في جميع جزر البحر الأحمر الواقعة على الحدود الحبشية ، لأن جميع سكانها من المسلمين والوثنيين.

كان نجاح البرتغال في التحالف مع الحبشة معناه إمكان تطويق العالم العربي من ناحية الجنوب ، وفي نفس الوقت يمثل تهديداً خطيراً ومباشراً للأماكن الإسلامية المقدسة في الأراضي الحجازية ، ولكن ذلك التحالف كان يحمل منذ البداية عوامل فشله بسبب اختلاف وجهتي نظر المتحالفين ، واختلاف مذهبيهما الديني ، فالأحباش يعتنقون الديانة المسيحية على المذهب الأرثوذكسي بينما يعتنق البرتغاليون الدين المسيحي على المذهب الكاثوليكي ، ومن ناحية الأهداف كان الأحباش يرغبون في أن يساعدهم البرتغاليون على تطوير بلادهم حتى يستطيعوا الوقوف أمام الإمارات الحبشية المسلمة المجاورة لهم ، كما كانوا يرون أن تتعاون جميع الدول المسيحية الأوربية مع البرتغال بإرسال قواتها إلى

البحر الأحمر ، وتستولي كل دولة من هذه الدول على أحد المواقع الهامة الواقعة على البحر الأحمر ، فتحتل أسبانيا زيلع ، وتحتل فرنسا سواكن ، بينما تحتل البرتغال مصوع ، وفي نفس الوقت تساعد القوات المتحالفة الحبشة في الزحف على البلاد الإسلامية والاستيلاء على جدة ومكة والقاهرة وغيرها من المدن الإسلامية المهمة ، وكان معنى هذا الاقتراح القضاء على احتكار البرتغال لطريق رأس الرجاء الصالح ، بينما كان البرتغاليون يهدفون من وراء ذلك التحالف إلى اتخاذ الحبشة قاعدة عسكرية لهم ، واستغلال ثروات الحبشة ، وتحويل الأحباش من المذهب الأرثوذوكسي إلى المذهب الكاثوليكي ، وما أن تبين الأحباش تلك الأهداف حتى عملوا على طرد البرتغاليين من بلادهم ، ونجحوا في تحقيق ذلك في أوائل القرن السابع عشر.

كان هناك عامل آخر ظهر إلى حيز الوجود وأثر على موقف الأحباش من البرتغاليين وهو استيلاء الأتراك العثمانيين على البلاد العربية ، فقد خشي ملك الحبشة أن يؤدي تحالفه مع البرتغاليين إلى مهاجمة القوات العثمانية لبلاده ، أو التدخل في تعيين رئيس أساقفة الحبشة التي كانت كنيستها تتبع كنيسة الإسكندرية ، وكان بطريرك الإسكندرية هو الذي يعين رئيس أساقفة الحبشة ، كما خشي ملك الحبشة أن يؤدي نشاط العثمانيين في المنطقة إلى إثارة القلاقل في الحبشة من جانب الإمارات الحبشية المسلمة التي كانت تحيط بالحبشة (بلاد الطراز الإسلامي). ولهذه الأسباب فضل الأحباش عدم عقد اتفاقيات محددة مع البرتغاليين [١٣].

إن المبشرين بالنصرانية لا يريدون نصارى من السود يساوونهم في المنزلة، ولكنهم يريدون أشخاصاً يستتبعونهم في استغلال البلاد التي يبشرون فيها ، فحينما يعتنق الزنجي الإسلام فإنه لا يصبح حالاً عضواً في هيئة اجتماعية أعلى من تلك التي كان فيها من قبل ، أما إذا انتقل الوثني الزنجي إلى الجماعة المسيحية فإن الذي يحدث هو خلاف ذلك.

إن ملوك الحبشة النصارى أرادوا في القرن التاسع عشر أن يحملوا المسلمين الأحباش بالقوة على اعتناق النصرانية أو على مغادرة الحبشة ، رغم أن تيودور ملك الحبشة أراد أن يحالف بريطانيا ضد الدول الإسلامية المجاورة له وخصوصاً مصر ، ثم كتب بذلك رسالة إلى الملكة فيكتوريا في عام ١٨٦٣ ولكن رسالته بقيت بلا رد فعد تيودور ذلك إهانة وسجن القنصل الإنجليزي والمبشرين البروتستانت الذي كانت الحكومة الحبشية قد سمحت لهم بالتبشير بين رعاياها المسلمين.

وجاء الملك يوحنا فأمر بتعبئة عامة ثم أعلن حرباً صليبية على المسلمين كما استطاعت الحكومة الحبشية أن تنصر بعض المسلمين عن طريق القهر ، ولكنهم خرجوا من الكنيسة التي عمدوا فيها إلى المساجد ليعودوا إلى إيمانهم وقد زاد ذلك من العداء بين المسلمين والنصارى من الأحباش ، والنصارى في الأصل أقلية في الحبشة، ولكن الاستعمار البريطاني خاصة هو الذي دعم الأسرة المسيحية الحاكمة على كثرة من المسلمين يتكلم العديد منهم اللغة العربية ويعرفونها جميعاً لأنها لغة الإسلام [١٤].

وأشهر من قاد الصراع الإسلامي ضد الصليبية الأمهرية والبرتغال الشيخ أبو عبد الله الزيلعي وجمال الدين عبد الله بن يوسف ثم برز الإمام أحمد ابن إبراهيم أمير عدل الملقب بالقرين أو الأشول الذي اجتاح مملكة الحبشة بأسرها ١٥٢٨ – ١٥٤٣ بمساعدة الدولة العثمانية واستطاع أن يقتل كريستوفر دي جاما ابن المكتشف المشهور ١٥٤١ بوادي الدناكل في أريتريا.

وفي ١٨٧٨ اشتدت الهجمة الصليبية على مسلمي الحبشة فعقد الملك جون مجمعاً ضم رجال الكنيسة الحبشية وقرروا الاتفاق على دين واحد في كافة أنحاء المملكة فألزم المسلمين بالتسليم في خلال ثلاث سنين والوثنيين في خلال خمس سنين[١٥] .

ثالثاً : انتشار الإسلام والممالك الإسلامية

- دخول الإسلام في أفريقيا :

علاقة العرب بأفريقيا علاقة قديمة ، فقد جاء العرب من شبه الجزيرة العربية إلى الساحل الشرقي لأفريقيا واستقروا في هذه المناطق وأصبحت لهم تجارة زاخرة ، وكونوا إمارات عربية في شرق أفريقيا ، وإذا علمنا أن المسافة بين زنزبار وعدن لا تتجاوز ١.٧٠٠ ميل وبين زنزبار ومسقط ٢.٢٠٠ ميل تقريباً ، أدركنا الامتداد العربي لهذه الجهات الأفريقية.

وبالإضافة إلى عامل الجوار – فهناك عامل جغرافي مناخي آخر ساهم في قيام هذه العلاقات بين العرب القاطنين في الجزيرة العربية ، وبين سكان السواحل الشرقية لأفريقيا ، حيث أصبح التجار العرب يبدأون رحلتهم في سفنهم الشراعية من الشاطئ العربي في الشتاء يستعينون بقوة الرياح المؤاتية في سفرهم جنوباً صوب الساحل الأفريقي ، وفي الربيع أثناء عودتهم يجدون أيضاً الرياح مؤاتية للاتجاه صوب الوطن الأصلي فيساعدهم ذلك على الانتقال من الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر إلى الشاطئ الغربي والعكس.

ومن الأسباب أيضاً التي دفعت سكان السواحل العربية للخروج من شبه جزيرتهم (العمانيون والحضارمة خاصة) أنهم نشأوا في بيئة بحرية مثالية في جنوب شبه الجزيرة العربية ظهيرها طارد ، فكان طبيعياً أن يتسللوا إلى شرق أفريقيا في مجموعات صغيرة انتشرت في المبدأ في بعض الجزر الساحلية مثل : مافيا وزنزبار وبمبا وفي المراكز الساحلية مثل سفالة ومالندي وكلوة وممبسة ودار السلام ، واستطاعت هذه المجموعات أن تطبع مناطق واسعة من شرق القارة بلغتها وحضارتها وأن تندمج في السكان الأصليين.

لا شك أن الاستقرار العربي على الساحل الأفريقي المقابل لشبه الجزيرة العربية حدث بهدوء ،ودون اللجوء للقوة أو العنف ، وكان الغرض التجاري هو الغالب على هذه الجماعات العربية المهاجرة للسواحل الأفريقية.

ولما ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية وجهر النبي ﷺ بالدعوة أعطى للعرب دفعة قوية للخروج من شبه جزيرتهم لنشر الدين الجديد ، ومن الطبيعي أن تكون المناطق التي عرفوها وتعاملوا مع أهلها من أول المناطق التي انطلق إليها العرب المسلمون وأصبح التجار المسلمون دعاة الإسلام في شرق أفريقيا ، كما سيكون لهم دورهم أيضاً في غرب القارة ، وكانت سلوكهم وأمانتهم ومعاملتهم حسب تعاليم الإسلام – خير مشجع للأفارقة لاعتناق الدين الجديد الذي يدعو للمساواة بين الناس ولا يفرق بينهم إلا على أساس التقوى ، كما يدعو للأمانة ومراعاة الله في الكيل والوزن وتحديد الربح.

أن هجرة المسلمين إلى شرق أفريقيا واستقرارهم وما تبع ذلك من إندماجهم في السكان الأصليين وتزاوجهم معهم ، ترتبت عليه نتائج هامة وعميقة مثل وجود جنس تبدو فيه كثير من الصفات والعادات والتقاليد العربية بالإضافة إلى الصفات والتقاليد الأفريقية ، كما أصبحت الإمارات التي كونها المسلمون شرق أفريقيا مزيجاً تجمع في أنظمتها بين أشياء أفريقية وبين أشياء إسلامية ، وحتى اللغة السائدة أصبحت لغة أفريقية عربية (اللغة السواحلية) ولاشك أن الإسلام بتعاليمه ومبادئه كان يمثل مصدر إشعاع قوي ، والمسلمون المهاجرون لشرق أفريقيا ، لم يعمدوا لتغيير أوضاع وتقاليد الجماعات التي استقروا بينها واندمجوا فيها في أفريقيا ونقلوا لهذه الجهات حضارتهم.

أما عن الطرق التي سلكها الإسلام في انتشاره في أفريقيا :

١- **طريق المحيط الهندي** : وهو طريق العرب الأساسي من شبه الجزيرة العربية إلى شرق القارة وكما سبقت الإشارة أن العامل الجغرافي وعامل الجوار يسرا هجرة العرب من شبه الجزيرة العربية عبر هذا الطريق إلى شرق القارة.

٢- **باب المندب** : وهو مدخل طبيعي للمناطق المقابلة له من شرق القارة وقد سلكه العرب قبل الإسلام وبعده إلى داخل القارة ، والمحيط الهندي وباب المندب كانا طريقا المسلمين إلى الحبشة القريبة من باب المندب حيث أمر الرسول ﷺ أتباعه بالهجرة إلى الحبشة حين اشتد بهم الأذى ، كما دخل الإسلام عن هذا الطريق إلى الصومال فأصبح دولة إسلامية ، كما امتد إلى كينيا وتنزانيا الحاليتين ، ووصل الإسلام إلى

أعالي الكونغو حيث استطاع حميد بن محمد المرجي الذي اشتهر باسم تبوتيب Tippu tip تكوين دولة عربية كانت عاصمتها كاسو نجو ظل يحكمها حتى عام ١٨٩٠.

٣- **البحر الأحمر** : بعد الإسلام أصبح البحر الأحمر يمثل طريقاً هاماً للحج للمسلمين الأفارقة ، وقامت على الشاطئ الأفريقي لهذا البحر مواني هامة باعتبارها مناطق تجمع الحجاج في طريقهم للأماكن المقدسة الإسلامية بالجزيرة العربية ، وتطورت أهمية البحر الأحمر فقد أصبحت بعض موانيه محطات هامة على الطريق الملاحي الذي يصل المحيط الهندي بعالم البحر المتوسط خاصة بعد شق قناة السويس.

٤- **شبه جزيرة سيناء** : سيناء معبر يربط أسيا بأفريقيا ولعبت شبه جزيرة سيناء دوراً هاماً كطريق لهجرة القبائل العربية إلى شمال وغرب أفريقيا ، ومن أهم الهجرات التي سلكت هذا الطريق هجرة بني هلال وبني سليم ، وقد استقرت بعض القبائل العربية المسلمة في سيناء كما أن بعضها اتخذها معبراً إلى الغرب ، وقد دفعت هذه القبائل العربية أمامها قبائل بربرية إلى الجنوب والغرب كما أن سيناء تعتبر الطريق البري الوحيد الذي يربط بين الجناح الأفريقي والجناح الأسيوي.

٥- **مصر** كقاعدة للانطلاق الإسلامي في أفريقيا منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودخول مصر في حوزة الأمة الإسلامية ومن مصر انطلق المسلمون في اتجاهين هامين :

أ) اتجاه جنوبي إلى بلاد النوبة وسودان وادي النيل وإلى الجنوب الشرقي إلى ارتريا.

ب) اتجاه غربي ساحلي إلى برقة وطرابلس والمغرب ، وكان تأسيس عقبة بن نافع مدينة القيروان عام ٥٠ هـ خطوة هامة في هذا الاتجاه.

٦- **المغرب** كقاعدة لانطلاق الإسلام في أفريقيا : فمنذ دخول الإسلام المغرب بدأ يتسرب إلى غرب أفريقيا فقد سار عقبة بن نافع الفهري حتى ساحل المحيط ، وسار موسى

بن نصير في نفس الطريق ، فانفتح الباب للإسلام صوب الغرب وجنوباً إلى قلب القارة التي أطلق عليها الأوربيون تعبير القارة السمراء وكان هذا أول اتصال بين الإسلام القادم من المغرب وبين أقاليم غرب أفريقيا ، وتتابعت بعد ذلك هجرات البربر ، ولعل من أبرز القبائل التي لعبت دوراً حاسماً في نشر الإسلام في هذه الجهات قبائل الملثمين (الطوارق) خاصة في منطقة السنغال والنيجر [١٦].

الممالك الإسلامية :-

دخل في حظيرة الإسلام – العديد من قبائل الصحراء الغربية ، وقامت في السودان الغربي ممالك (إمبراطوريات) إسلامية قوية – فقد انتشر الإسلام في البلاد التي يرويها نهرا السنغال والنيجر.

١- انتشار الإسلام في السنغال :-

بدأ الإسلام ينتشر في بلاد السنغال منذ أن أقبلت عليه قبائل تلك الديار خاصة قبيلة صنهاجة التي انتشر فيها الإسلام منذ أيام عقبة بن نافع فكانت هذه القبائل تنتقل نحو الجنوب ، وينتقل معها الإسلام ، وزاد أيام دولة الأدارسة التي قامت عام ١٧٢هـ إذ انضوت ديار الملثمين بزعامة (لمتونة) وبدأت تتجه نحو الجنوب ، وساعدها في هذا الاتجاه ضعف دولة (غانا) آنذاك ، كما كان خط الانتشار يتجه نحو الغرب ، حيث كانت عدة ممالك في المنطقة أشهرها : مملكة (بامبوك) ومملكة (التكرور) وهذه الأخيرة اعتنق ملكها الإسلام حوالي عام ١٤١٦هـ.

وانطلقت دولة المرابطين من جزيرة عند مصب نهر السنغال ، وهاجمت القبائل المجاورة ، وأرغمتهم على الإسلام ، وتوسعت الدولة حتى قضت على دولة غانا ، ونشرت الإسلام بين قبائل الزنوج الوثنية ، ومن هذه القبائل الفولاني التي تحولت إلى الإسلام حوالي عام ٤٦٩ هـ في منطقة السنغال.

ومن أوائل القرن السابع الهجري وحتى القرن الحادي عشر الهجري كانت أرض السنغال ضمن مملكة مالي الإسلامية ، وإن كانت قبيلة "التوكلور" هي صاحبة النفوذ في

منطقة السنغال تحت إشراف مملكة مالي حتى عام ٦٣٩ هـ ، حيث حكم الفولانيون الذين جاءوا (من كانياغا) حتى عام ٧٥١ هـ ، وتلاهم شعب الولوف الذي استمر حكمه حتى القرن التاسع حيث رجع التوكلور إلى الحكم وقوى مركزهم إذ كانت مملكة مالي آخذة بالضعف ، وكانت هذه الحكومة كلها تقوم تحت إشرافها ، وفي عام ١١٩٠هـ ، (١٧٧٥م) أسس الفولاني حكومة اتسعت رقعتها ، وظهر عام ١٢٥٤ هـ (١٢٣٨م) الحاج عمر الفولاني فحاول التوجه نحو الغرب ولكنه اصطدم بالفرنسيين ، وتمكنوا من القضاء على سلطانه عام ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥م) ، وإن استمر حكم أبنائه حتى عام ١٣١٦ هـ (١٨٩٨م) حيث دخل الفرنسيون البلاد [١٧].

ولما انتهت إمبراطورية غانا الإسلامية قامت على آثارها إمبراطورية أخرى هي دولة مالي التي ساعدت على نشر الإسلام وحضارته ، وذهب ملوكها إلى بيت الله الحرام وسط مظاهرة كبيرة ، وطافوا ببلاد إسلامية في رحلتهم حاملين معهم الإسلام في كل مكان حلوا به ، ولا ننسى موكب منسي موسى (١٣٠٧ – ١٣٣٢م) ذلك الموكب الذي مر على مصر عام ١٣٢٤م ، وأصبح هذا السلطان من دعاة الإسلام حيث امتد بدولته إلى مدينة جاو في النيجر ، بل اخترق الصحراء وتوغل في المنطقة الاستوائية جنوباً ، لكن انتهت هذه الدولة الإسلامية لتقوم على أنقاضها دولة أخرى هي دولة صنعاء والتي حملت أيضاً لواء الإسلام وتوسعت جنوباً ، ولولا الغزو المغربي لها في أواخر القرن السادس عشر لكان لهذه الدولة شأن كبير في نشر الإسلام في بلاد الزنوج ، وبعد انتشار الإسلام في هذه الجهات بدأت قبائل الفولاني تقوم بدور كبير في نشر الدين الحنيف ، وصار دور الفولاني لا يقل أهمية عن دور الممالك الإسلامية السابقة ، واختلف المؤرخون حول أصل هذا الشعب ، وانقسموا شيعاً وأحزاباً ، فيرى ديبويي (Dubois) أن الفولاني من البربر وأنهم انحدروا من منطقة أدرار شمال السنغال ، واندفعوا إلى السودان الغربي بعد طرد المسلمين من الأندلس ، واشتغلوا بالزراعة والرعي.

أن الفولاني قد انتشروا بالتدريج في السودان الغربي وأعالي السنغال خلال ازدهار إمبراطورية غانا ، وأنهم شقوا طريقهم إلى بلاد الهوسا في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي ، وصاروا قوة مسيطرة بعد نجاح حركة الجهاد الفولاني بزعامة الشيخ عثمان بن فودي عام ١٨٠٤.

ومهما اختلفت الآراء حول أصل الشعب الفولاني فإن الذي يهمنا هو أن هذا الشعب ، بعد تفكك دولة صنغي ساد منطقة السودان الغربي فترة من الفوضى استمرت حوالي قرنين من الزمان تعرض فيها السودان لكثير من ألوان الاضطهاد حتى نهض الفولاني بثورتهم الكبرى مع إشراقة القرن التاسع عشر.

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر استطاعت إحدى إمارات الهوسا ، وتدعي إمارة جوبير ، أن تنتزع السيادة من إمارة زمفرا ، وصارعت إمارات أخرى مثل كيبي ، وكاتسينا وكانم وامتدت جيوشها حتى دولة برنو ورغم كل هذا التوسع لم تستطع أن تحقق الوحدة السياسية لإمارات الهوسا لأن كل إمرة تحاول السيادة على غيرها ، وكل ما فعلته إمارة جوبير هو السيطرة إلى حين على الإمارات الأخرى.

وخلاصة القول : إن الصراع بين إمارات بلاد الهوسا لم يساعد إلا على التفرقة وعدم الاستقرار ، وعدم التركيز على النواحي الثقافية أو الدينية ، فصار الدين الإسلامي غريباً بين السكان ، واختلطت العادات الوثنية بالتقاليد الإسلامية ، وصار الحكام يحملون لقب المسلمين شكلاً دون فهم واع لأصول هذا الدين وعندما أحس أحد أبناء الفولاني المسلمين بما ألم بالدين على أيدي هؤلاء الحكام شبه الوثنيين أعلن الجهاد في سبيل الله لإعادة الدين الإسلامي إلى أصوله وقواعده ، وصارت إمارة جوبير هي الساحة التي انطلقت منها هذه الثورة الإسلامية الكبرى التي غيرت مجرى حياة السكان، وأعادت للدين الإسلامي هناك مكانة لم يحققها في القرون السابقة ، وصار الجهاد الفولاني لإخماد البدعة وإحياء السنة هو العمل الكبير الذي قام به الداعية والمجاهد عثمان بن فودي (١٨).

إعلان الجهاد وبداية تأسيس الدولة الإسلامية :-

كانت الهجرة إلى مدينة جودو بداية تأسيس إمبراطورية الفولاني التي اتخذت من مدينة سوكوتو عاصمة لها ، وأخذ الشيخ معه الأنصار والأتباع إلى أطراف الصحراء ، وهناك أقروا له بالطاعة والولاء ، وحلفوا اليمين على طاعته على الكتاب والسنة ، وحمل الشيخ لقب أمير المؤمنين ذلك اللقب الذي استمر مع الخلافة حتى نهايتها في عام ١٩٠٣ كما حمل لقب خليفة في بعض الأحيان وهو اللقب الذي حمله أبناؤه وذريته من بعده.

كانت هذه البيعة بداية الجهاد ، وإيذاناً بتأسيس الخلافة الإسلامية ، ذلك لأن البيعة كانت تعني نقل الجهاد من الدور السلبي إلى الدور الإيجابي الجديد ، وانتشرت أخبار الجهاد ضد حكام الهوسا ، وأصدر الشيخ "وثيقة أهل السودان" التي صارت إعلاناً رسمياً للجهاد ، حيث حدد الشيخ الأسس التي بنى عليها الجهاد ، وأقرت هذه الوثيقة مبادئ منها : أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إجماعاً ، وأن الهجرة من بلاد الكفار واجبة إجماعاً ، وأن الجهاد واجب إجماعاً ، وأن قتال البغاة واجب إجماعاً.

كان الرد العملي على هذه الوثيقة أن أرسل إلى إخوانه الأمراء في كاتسينا ، وكانم ، ودوراً يطلب منهم يد المساعدة لأنه أهمل إطفاء شرارة من النار في إمارته حتى اتسعت رقعتها وزادت حدتها ، وصار فوق احتماله القضاء على خطورتها.

تزعم سلطان جوبير جبهة المعارضة ضد الشيخ عثمان ، وصارت الحرب وشيكة بين المؤمنين والوثنيين ، ولم يجد الشيخ بداً من إعلان الجهاد في سبيل الله ، فلبى تلاميذه النداء لأن ارتباطهم به لم يكن مجرد حلقات درس تنتهي ، بل كان الارتباط عميقاً بالحب والتقدير ، فكانوا له مؤيدين ، تكبدوا المعاناة وتحملوا عبء الكفاح عندما هاجم الشيخ إمارة جوبير إثر قرار حاكمها بتأديب الشيخ عثمان ، فحدث الالتحام وبدأت الحرب وانتقلت الدعوة من مرحلة السلم إلى مرحلة الهجوم المسلح ، وبعد أن أغار حاكم جوبير على قرى المسلمين وممتلكات الموحدين.

وفي الرابع من يونيه عام ١٨٠٤ تقدمت قوات الجهاد بزعامة عبد الله بن فودي الذي أخلى مواقعه في جودو توقعاً لهجوم من سلطان جوبير ، واتجه إلى بحيرة تابكين كوتو ، وعلى ضفاف هذه البحيرة أطبق المسلمون على قوات البغي والعدوان ودارت عليها الدائرة ، فهرب من وجد سبيلاً لذلك وسقط في ساحة المعركة الكثير ، وتفرق شمل الأعداء في أول مواجهة حاسمة في الجهاد ، لكن النصر لم يكن نهائياً لأن قوات المشركين عادت ، بعد أن جمعت قواتها في ١٨٠٥ ، وبدأت الهجوم من جديد على الشيخ وجماعته ، ودارت معركة تسونسو التي هزم فيها المسلمون في البداية ، وراح منهم أكثر من ألف قتيل ولكنهم صمدوا للهجوم.

استمرت الحرب سجالاً بين الطرفين دون تفوق على الآخر ، وتمكنت قوات الجهاد من السيطرة على إمارة كيبي (Kebbi) واتخذتها عاصمة للجهاد ، وتوالي سقوط إمارات الهوسا في أيدي المسلمين حيث سقطت زاريا عام ١٨٠٥ ، واستمر النصر حليفاً للشيخ وأتباعه حتى تحقق النصر المبين ، ودخل عاصمة الإمارة وتسمى الكالاوا في ١٨٠٨ ، وتم قتل السلطان يونفا مع عدد من أتباعه ، وانتهت مقاومة الوثنيين ، وصارت كلمة الذين آمنوا هي العليا ، وتوافدت القبائل زرافات ووحدانا إلى معسكر الشيخ تعلن الدخول في الإسلام والانضمام إلى حلف المسلمين ، وتوسعت إمبراطورية الفولاني ، وتكونت إمارة جديدة ، وأعطى الشيخ أعلاماً لأتباعه الجهاد في مختلف المناطق ، فتوسعت رقعة الدولة ، ودخل الناس تحت راية الجهاد ، وانتقل الشيخ إلى مدينة سفاوا عام ١٨٠٩ ، بينما استقر ابنه محمد بلو في مدينة سوكوتو.

وعادت المنطقة إلى حكم المسلمين ، ولأول مرة تشكلت وحدة سياسية كبرى أطلق عليها إمبراطورية الفولاني ، واختلفت التفسيرات حول هذا الجهاد فمنهم من رأى فيه صراعاً سياسياً بين الهوسا والفولاني ، استخدم الفولاني عامل الدين كهدف ، أو مناورة عسكرية من أجل تحقيق أهدافهم للسيطرة الفولانية على بلاد الهوسا ، أما العالم النيجيري عبد الله سميث فيرى في الحركة أكثر من محاولة لمجموعة من الرجال المحرومين من

أجل السيطرة السياسية لصالحهم ، بل هي حركة فكرية تهدف إلى خلق مجتمع مثالي تسوده الشريعة الغراء.

وحاول أعداء الشيخ تفسير الجهاد على أنه جهاد يخفي وراءه أطماعاً سياسية في ثوب الإصلاح الديني ، بل ذهب فريق آخر إلى أن هذه الثورة قد خططت من أجل مساعدة الفولاني للسيطرة على أمور البلاد (١٩).

لكن مهما اختلفت الآراء حول أسس الجهاد فإن الجميع يتفق على أن الحركة شمولية ارتكزت أساساً على الناحية الدينية ، وأن الشيخ عثمان نفسه حدد الغرض من الجهاد في وثيقة أهل السودان وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والهجرة من بلاد الكفار ، وتنفيذ أحكام المشرع ، وقتال الملك الكافر الذي لا يقول "لا إله إلا الله"

وقامت دولة الفولاني على نظام الخلافة الإسلامية وصار الخليفة يشرف على كل إمارات الدولة التي أحيت الخلافة الإسلامية التي كانت أيام مجد العباسيين ، وتأصلت جذور الدعوة الإسلامية فنمت وترعرعت وآتت أكلها ، وتمسك المسلمون بالشريعة الغراء وساد الأمن الذي كانت تحكم به المنطقة ، وازدهرت الحضارة الإسلامية في كل أرجاء الإمبراطورية.

وفي عام ١٨١٢ اقتصر دور الشيخ على التأليف والوعظ والإرشاد بعد أن قسم الإمبراطورية إلى قسمين : قسم شرقي تحت إشراف ابنه محمد بلو ، والآخر غربي تحت إشراف أخيه عبد الله فودي ، وكرس الشيخ الجزء الباقي من حياته في التأمل والدراسة في مدينة سيفاوا (Sifawa) حتى وافاه الأجل المحتوم في عام ١٨١٧ بعد أن أرسى قواعد دولة إسلامية ، استقرت فيها الخلافة ، وحكم أبناؤه من بعده مدة قرن من الزمان حتى سقوط هذه الخلافة في أيدي البريطانيين في عام ١٩٠٣.

لقد لعب أبناء الشيخ وأحفاده دوراً ضد الاستعمار الأوربي الذي تكالب على مناطق الدولة الإسلامية ابتداء من الربع الأخير للقرن التاسع عشر ، وسوف نستعرض بشيء من التفصيل قصة صراع هذه الدولة الإسلامية ضد الجيوش البريطانية التي

حاولت القضاء على هذه الحضارة الإسلامية الزاهرة ، لكن رغم سقوط الدولة عسكرياً إلا أن الأسس التي وضعوها ، والنظم الإسلامية التي ساروا عليها أدهشت الأوربيين وجعلتهم عاجزين عن إبدال تلك الحضارة الراسخة بنظم جاءوا بها ، فاضطروا للإبقاء عليها ، ولم يحاولوا التدخل في شئون المسلمين في تلك الدولة الإسلامية ، فعاشت حضارتهم وازدادت إزدهاراً [٢٠].

في القرن السابع قبل الهجرة قامت إمبراطورية (غانا) في منطقة مالي اليوم ، أسستها جماعة بيضاء جاءت من الشرق أو من الشمال وغدت مع الزمن سوداء ، وهي التي عرفت فيما بعد باسم (الفولانيين) وكان مقرها مدينة (كومبي صالح) التي تقع بين نهري النيجر والسنغال ، في منطقة (أوكار) وسيطرت على جماعة (السوننكي) أصحاب النفوذ هناك ، واعتمدت في حياتها على الزراعة والتجارة ، وفي القرن الهجري الثاني طردت جماعة (السوننكي) الفولانيين نحو الغرب ، وحكمت (غانا) حتى جاء المرابطون في القرن الخامس الهجري عام ٤٩٦ هـ فانتشر فيها الإسلام ، وكانت من قبل تدين بالوثنية.

تمكنت جماعة السوننكي أن توسع نفوذها وأن تسيطر على مدينة (أودغشت) حاضرة قبيلة (لمتونة) إحدى فروع قبيلة (صنهاجة) والتي كانت فيها حكومة بربرية شملت أجزاء واسعة من موريتانيا ، والسنغال ، وغينيا ، ومالي دول العصر الحديث ، وكانت المنطقة بين الممالك تسيطر إحداها على جميعها عندما تزداد قوتها ، ولا تقضي عليها ، وإنما تكتفي بفرض الجزية ، فإذا حدث أن قويت مملكة أخرى عادت وسيطرت على غيرها ، وأصبحت الحكومة بالأمس حاكمة اليوم. وقد تعود دولة منها للنهوض ثانية مادام لم يقض عليها ، ولما كانت كل مملكة تسيطر على عدة ممالك لذا فقد عرفت باسم "إمبراطوريات" [٢١].

٢- مملكة غانا :

وكانت تشغل الرقعة من الأراضي بغرب أفريقيا التي تقع عند الطرف الجنوبي لطريق القوافل عبر الصحراء الكبرى الممتدة من سجلماسه في بلاد المغرب ماراً بتغازا التي اشتهرت بمناجم الملح.

واشتهرت غانا بالذهب ويوجد بمدينة غانا العاصمة نحو إثنا عشر مسجداً ، وأنه عاش بغانا كثير من العلماء ورجال الدين والأدب ، وطلاب العلم وكانت العربية لغة التعامل ليس بين المسلمين فحسب بل وفي جميع أنحاء الإمبراطورية ، وحاضرة غانا هي كومبي.

وقد بدأ الضعف يدب في مملكة غانا منذ عام ١٢٠٣م – حتى استطاع جيش أحد الأقاليم التابعة لها – وهو أقليم صوصو أن يهاجم العاصمة واستولى عليها وضربها حوالي عام ١٢٤٠م – فاضطر مسلمو غانا للفرار إلى (ولاته) شمال كومبي، وأصبح هذا المكان الجديد مركزاً للحياة الإسلامية في الصحراء الكبرى [٢٢] .

انتشر الإسلام قليلاً في إمبراطورية غانا قبل قدوم المرابطين بل ذكرت بعض الروايات أن أحد ملوك غانا قد اعتنق الإسلام عام ٣٣٣ هـ ، كما اعتنقه أحد ملوك التكرور عام ٤٣٢ هـ ، وأصبح للمسلمين في قاعدة غانا ضاحية خاصة تعادل العاصمة أو تشمل نصفها وفيها اثنا عشر مسجداً ، ولهم حرية في الدولة.

كان القتال مستمراً بين إمبراطورية غانا والملثمين في الشمال بزعامة قبيلة (لمتونة) والذين كانت قاعدتهم مدينة (أودغشت) وتمكنت غانا من إحراز النصر على الملثمين الأمر الذي جعل (لمتونة) تتخلى عن الزعامة لأختها (جدالة) التي استطاعت أن توقف زحف إمبراطورية غانا نحو الشمال ، ثم تأسست جماعة المرابطين الأساسية من قبيلة (جدالة) عندما جاء "عبد الله بن ياسين" إليهم ، وعندما قوى أمرهم تمكنوا من استعادة مدينة (أودغشت) عام ٤٤٦ هـ من غانا ، وحملوا أهلها على اعتناق الإسلام ، إلا أن زعيمهم (يحيى بن إبراهيم الجدالي) قد استشهد في المعركة التي فتحت إثرها مدينة (أودغشت) وتولى بعده زعامة المرابطين (أبو بكر بن عمر اللمتوني) ابن عمه وزعيم

قبيلة (لمتونة) وتمكن من دخول قاعدة إمبراطورية غانا مدينة (كومبي صالح) وكانت غانا قد ضعف أمرها ، وتفككت وذلك عام ٤٦٩ هـ ، وفرض اللمتوني الإسلام على سكان غانا.

ثم ضعف أمر المرابطين بعد وفاة (أبو بكر بن عمر اللمتوني) عام ٤٨٠ هـ ، فعاد للسوننكي قوتهم فاستقلوا وأعلنوا عن ارتباطهم بالدولة العباسية ، ثم ساد الجفاف المنطقة وارتحلت عدة قبائل نحو الجنوب فانهارت إمبراطورية غانا وقامت مكانها إمبراطورية (الصوصو) وكان لارتحال القبائل نحو الجنوب أثر في تعمق الإسلام نحو خليج غانا [٢٣].

٣- مملكة مالي :

منذ أواسط القرن الحادي عشر كان الإسلام قد أخذ ينتشر بين أفراد الأسرة الحاكمة في مالي وقد اعتنق ملك مالي الإسلام في عام ١٠٥٠ م ، وأدى فريضة الحج وتبعه خلفاؤه الواحد تلو الأخر ، ومنذ عام ١٢٣٥ ، بدأ نجم مالي يظهر ، ضمت إليها عدة أقاليم مجاورة.

فقد ضمت إقليم مالي ، وصوصو ، وإقليم غانا ، وبلاد تكرور – وكانت هذه الأقاليم ممالك مستقلة لكنها اندمجت في مملكة واحدة ، وأصبحت مالي إمبراطورية إسلامية ضخمة بغرب القارة الأفريقية [٢٤] .

لم تمر خمسون سنة على غزو سوسو لغانا حتى عادت التنظيمات السياسية التي كانت قائمة في إمبراطورية غانا إلى سابق عهدها بل ازدادت اتساعاً وقوة بإضافة أقاليم جديدة عن طريق قيام الأسرة الحاكمة ، وهي من قبائل ماندي Mandi وتعتبر أسرة Sundiata مؤسسة دولة مالي ، وإن كانت قد فعلت ذلك بأسلوب عسكري فإنها في نفس الوقت أبقت على النظام السياسي القائم : بمعنى أن هزيمة غانا في ميدان القتال لم تؤد إلى تقطيع أوصال الإمبراطورية أو إلى تعديل في التركيب الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي للبلاد ، فقد حافظت إمبراطورية مالي على تمتع الشعب بحقوقه

وواجباته السياسية ، وعلى قيامه بواجباته وإن تكن قد قضت على الأسرة الحاكمة منعاً لوجود منافسة لها على دست الحكم.

وقد حدثت منازعات داخلية في مالي نتيجة تتابع ثلاثة حكام على الحكم من نفس الأسرة في عشرين سنة ، ثم قيام أحد المماليك بانقلاب ، ثم تنصيب نفسه ملكاً على مالي ، وقد أدى ذلك إلى حرب أهلية لمدة تسعة أشهر ومنازعات على الحكم ، ولكنها لم تؤثر في ولاء رجل الشارع للسلطة الحاكمة ، فقد بقى التركيب المركزي للحكم قوياً بفضل اعتناق الدولة للإسلام.

والواقع أن إمبراطورية مالي كانت أصلاً دويلة صغيرة تسمى كان جابا Kangaba ويسكنها الماندنجو Mandingo من قبائل المالنكي Malinke وفي عام ١٢٣٥ قام الملك سندياته Sundiata بضم إمبراطورية سوسو في الشمال إليه ، ثم هزم إمبراطورية غانا ، وقد قامت إمبراطورية مالي الإسلامية على مركزين رئيسيين هما : نياني Niane و Kangaba ثم امتدت إلى تومبكتو Timbuktu وجين Jenne وما حلت سنة ١٤٠٠ حتى كانت قوافل التجارة تعبر القسم الأوسط من الصحراء الغربية ، وكانت القافلة الواحدة تتكون من أكثر من ١٢ ألف جمل ، ومن ثم زادت ثروة حكام مالي حتى أصبحت أسطورية ، وخاصة الإمبراطور مانس موسى Mansa Musa الذي قام بزيارة بيت الله الحرام في عام ١٣٢٤ ، وقد صحب معه آلافاً من رعاياه وكمية كبيرة من الذهب وزعها على الفقراء ، وأحضر مانس موسى Mansa Musa من مكة ومن الدول التي مر بها الفنيين من رجال العمارة ، كما أحضر عدداً من العلماء ، وقد ساعد الأولون في بناء مساجد تومباكتو Timbuktu وقصورها وغيرها من المدن وأنشأ العلماء المسلمون جامعة سان كوري (Sankore) في تومباكتو.

وبعد موت مانس موسى Mansa Musa بدأ نجم الدولة في الأفول ، وما أن حل القرن الخامس عشر حتى فقدت جميع أقاليمها الشرقية بما في ذلك تومبا كتو وجين

اللتان انضمتا لإمبراطورية سونغهاي التي حافظت على هاتين المدينتين الكبيرتين ، وعلى ازدهار العلم في جامعة سان كوري [٢٥].

تمكن (ماري جاطه) عام ٦٣٣ هـ أن يؤسس جيشاً ، وأن ينتصر على الصوصو ، وأن يدخل عاصمة غانا القديمة ، وأن يزيل ما بقى منها ، ولكنه عطف على المسلمون الذين فروا منها إلى الشمال في ولايته عندما هاجمهم الصوصو.

إن (ماري جاطه) هو ابن (ناري فامغان) الذي عرف بالإصلاح والعمل على نشر الإسلام ، والذي قتله الصوصو ، وقد نقل (ماري جاطه) عاصمته إلى مدينة مالي التي أسسها ، والتي تقع اليوم في غينيا قرب الحدود مع دولة مالي ، وقد توسعت هذه المملكة كثيراً حتى شملت أكثر أجزاء أفريقيا الغربية ، واستمر حكمها حتى عام ٨٩٤هـ (١٤٨٨م) وقد ضعف أمرها أمام هجمات الطوارق في الشمال واستيلائهم على مدينة (تومبكوتو) وأعمال الغزو التي تقوم بها قبائل (الوش) الوثنية في الجنوب ، وهجمات الفولانيين والتكارنة من الغرب ، ثم استقلال مملكة (صنغاي) على نهر النيجر ، وتوسعها حتى قضت على مملكة مالي إلا أن الماليين قد حاولوا استعادة نفوذهم ضد (صنغاي) فاستنجدوا بالعثمانيين عام ٨٨٦هـ (١٤٨٠م) وطلبوا المساعدة من البرتغاليين فساعدوهم ضد الفولانيين وأجلوهم عن الأجزاء الغربية ، وقاموا بثورة عام ٩٤٠هـ ، ضد صنغاي غير أنهم فشلوا وقمعت ثورتهم ، ثم استطاع السلطان (محمد الثالث) أن يستعيد بعض أملاكه ، ولكنه هزم في النهاية عام ١٠٠٠هـ (١٥٩١م) أمام السعديين في مراكش ، والذين دخلوا مدينة (تومبوكتو) ثم عاد لدولة مالي أهميتها عام ١٠٨١هـ (١٦٧٠م) ثم تفرق أمراء الأسرة الواحدة واقتسموا السلطة، واستقر آخرهم في مدينة (باماكو) ومن الأسر التي حكمت مملكة مالي أسرة (كيتا) وأسرة (تراورة) [٢٦].

ومن أشهر حكام مالي السلطان منس موسى ، وقد ذاع صيته في العالم الإسلامي – اذ ارتبط اسمه برحلة الحج الطويلة التي قام بها إلى بيت الله الحرام عام ٧٢١هـ / ١٣٢٤م في ركب قيل إنه كان يضم أكثر من عشرة آلاف حاج (فمر بـ دولته)

، و(توات) و (سرته) على شاطئ البحر المتوسط في برقة واتجه منها ساحلاً إلى أن وصل إلى القاهرة – وذلك في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد حسن قلاوون.

وقد أحاط هذا السلطان نفسه بمظاهر الترف والإسراف في مصر ، وكانت معه كميات كبيرة من الذهب الخام – حتى قيل أنه لم يدع أميراً من أمراء المماليك في مصر ، ولا رب وظيفة سلطانية إلا وصله بحمل من الذهب ، كما فاض في هباته على الفقراء في الأراضي الحجازية ، ومنح عن سعة حتى قيل أن الذهب انخفض انخفاضاً ملحوظاً لكثرة ما أنفقه.

ومن طريف ما ذكر عن بعثة الحج هذه أن سلطان مالي في طريقه إلى الحج بعث برسالة إلى سلطان المغرب يخبره فيها أن موكبه سيمر من الطريق المحاذي بساحل البحر المتوسط ، فأصدر السلطان المغربي أوامره بحراسة السلطان المالي أثناء اجتيازه الصحراء ، ولبست المملكة حلة الزينة لاستقبال ضيف المغرب الذي أحاطت به مظاهر الأبهة والبذخ وحمل معه أحمالاً من الهدايا قدمت إلى الحضرة بفاس وتركت أثارها في نفوس المغاربة الذين كانوا ينظرون إلى القادمين نظرة الاحترام والتقدير ، وعندما انطلق الموكب من مالي إلى تلمسان صحبته كوكبة من الخيالة المغاربة الذين كانوا يحملون أوامر بمضاعفة مظاهر الحفاوة عند المرور ببجاية وتخوم تونس ، ووصل الموكب مصر حيث وجد الملك المالي – عاهل الجركسي يفاتحه في موضوع إقامة صلات تجارية وسياسية بين البلدين.

ولم تكن مظاهر الكرم – الذي صاحب رحلة العاهل المالي للحج مقصورة على القاهرة – فقد أنفق المال بسعة في كل مكان ذهب إليه ، وحدث ذلك أيضاً في أثناء زيارته المدينة المنورة ومكة المكرمة وغيرهما.

وقد ذكر المؤرخون أن منسا موسى – لما رجع ثانية إلى القاهرة قد أنفق كل ماله ، ومع ذلك فقد ظل متمسكاً بجميع مظاهر الأبهة – واضطر للاقتراض من أحد تجار الإسكندرية ، وقد صحب هذا التاجر هو وولده إلى مالي ليسترد دينه ، وقد توفى هذا

التاجر الثري في مسوفة ، ودفع منسا موسى ما كان عليه إلى ولده الذي انصرف عائداً إلى مصر.

وقد مات منسا موسى عام ١٣٣٢ بعد حكم دام خمساً وعشرين سنة ، وبعد موته بدأ الإنقسام يدب في عظم الإمبراطورية فقد تولى أمرها خلفاء تعوزهم القدرة[٢٧].

وأن تاريخ منطقة تشاد يكاد يكون مجهولاً حتى المدة التي شع فيها نور الإسلام عن طريق التجارة والدعوة وانتقال القبائل من الشمال إلى الجنوب ، ونزوح بعض الرجالات إثر الأحداث التي تحل بالعالم الإسلامي مثل : سقوط بغداد وخروج المسلمين من الأندلس وغير ذلك ، ومن ثم تأسست بعض الممالك الإسلامية في تلك الديار أهمها:-

٤- مملكة كانم :

وتأسست في القرن الثاني الهجري على أيدي جماعة قادمين من الشمال وكان مركزهذه المملكة شمال شرقي بحيرة تشاد ، وحكم أسرة سيف (١٨٣ – ١٢٢٥هـ) كانت على الوثنية مدة من الزمن تعد غامضة في أكثر من مراحلها ثم دخل إليها الإسلام في أواخر القرن الخامس ، وأول الأمراء الذين اعتنقوا الإسلام يدعى (أوم) وحكم من (٤٧٨ – ٤٨٩ هـ) ولقب الملوك بعده (ماي) .

وانتشر الإسلام في أيامه كثيراً ، وتوسعت مملكتهم حتى امتدت من النيجر غرباً إلى (واداي) شرقاً ، وشملت مناطق من الصحراء ، وشملت أجزاء من المناطق السودانية في الجنوب ، وكان هذا التوسع بمساعدة حكام تونس من الحفصيين ، ووصلت إلى الأوج أيام (عبد الجليل سلما) و (جونوما الثاني) [٢٨].

ومن إمبراطوريات غرب أفريقيا الإسلامية – إمبراطورية كانم وبرونو وقد شملت إمبراطورية كانم في أوج مجدها رقعة واسعة في غرب القارة تمتد من نهر النيجر غرباً إلى النيل شرقاً ، وقد استمرت إمبراطورية كانم قائمة فترة امتدت من القرن الثامن الميلادي

إلى القرن الثالث عشر ، وبدأ الضعف بعد ذلك يدب في أوصالها فأصبحت جزءاً من برنو بعد أن كانت برنو خاضعة لها.

وقد اعتنق حكام كانم الإسلام منذ أوائل القرن الحادي عشر مما أكسب دولتهم أهمية كبيرة [٢٩].

وفي عام ٧٨٩ هـ (١٣٨٧م) عمد قوم (البلالا) وهم أخلاط من العرب والتشاديين إلى إنهاء حكم هذه المملكة ، وبقيت الحرب قائمة بين الطرفين حتى أوائل القرن التاسع ، قتل في خلالها أربعة ملوك من دولة كانم ، وأخيراً هرب حكامها إلى (بورنو) غرب بحيرة تشاد ، وهو الإقليم الذي انتزعوه من شعب (الصاو) وأسسوا هنالك مملكة جديدة ، ثم استطاع (علي دوناما) الذي حكم (٨٧٧ – ٩١٠ هـ) أن يهاجم (البلالا) وأن يعود إلى كانم ، وابتدأ الازدهار لهذه المملكة مرة أخرى في أيام الملك (إدريس الثالث) الذي يعرف باسم (إدريس ألونة) وقد حكم (١٥٧١ – ١٥٩٦م) ووسع حدود مملكته.

وأخيراً تدهور الحكم ، وفي هذه الأثناء هاجمت قبائل الفولاني بزعامة (عثمان دانفديو) المنطقة ، واحتلت منطقة (بورنو) وأصبحت قبائل (الهاوسا) كلها تحت حكمه ، وفرض الإسلام على القبائل الوثنية.

استدعى أهل كانم الشيخ محمد الأمين الكانمي عام ١٢٢٥هـ (١٨١٠م) فتولى الحكم ، وأنهى حكم أسرة (سيف) ووقف في وجه قبائل الفولاني ، وصد هجومهم ، وبنى له عاصمة في مدينة (كوكا) وسار في البلاد سيرة حميدة ، إلا أن الضعف عاد بعده ، وتمكن الأمير (رابح) مولى الزبير باشا أن يدخل البلاد ، كما استطاع دخول منطقة (بورنو) وبقي في الحكم حتى جاء الفرنسيون عام ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) [٣٠].

٥- شرق أفريقيا الإسلامي :-

أ) الحبشة : كانت للعرب معرفة ببلاد الحبشة قبل الإسلام ، فلما ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية – وجهر النبي ﷺ بالدعوة وجد فيها بعض العرب هدماً لما ألفوه في

معتقداتهم وخروجاً عما اعتادوا أن يعبدوه ، كما وجد بعض أغنياء قريش في الدين الجديد تقويضاً لسلطانهم ونهياً عن ملذاتهم التي اعتادوها – فناصبوا الرسول العداء ، ورأوا أن يوجهوا إضطهادهم إلى أنصاره عامة ، وإلى المستضعفين منهم خاصة لاسيما مواليهم الذين وجدوا في الدعوة الجديدة مخرجاً لهم من ذل الأسر.

ولما رأى رسول الله ﷺ ما نزل بالمؤمنين بدعوته من إيذاء ، رق قلبه لأنصاره ، وخاف عليهم أن يفتتنوا ، فأشار عليهم أن يفروا بإيمانهم ويهاجروا إلى بلاد الحبشة – فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لهم مخرجاً مما هم فيه.

وقد هاجر إلى الحبشة عشرة رجال ، وأربع نسوة ثم زاد المهاجرون للحبشة ، فبلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلاً ، وسبع عشرة امرأة بالإضافة إلى الصبية ، وكلهم من بطون قريش ، وكان فيهم عثمان بن عفان ، وزوجته رقية بنت الرسولﷺ ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وجعفر بن أبي طالب وامرأته أسماء بنت عميس ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص.

فلما رأى أهل قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا ، وأطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً – استقروا فيما بينهم على أن يبعثوا منهم رجلين إلى النجاشي ليخرجهم من بلاده – فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، ومعهم الهدايا – فلما وصلا إلى بلاد النجاشي طلبا مقابلته ، ثم قالا له "أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان من السفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت – وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من أبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم ، فهم أعلى منهم عيناً ، وأعلم بما عانوا عليهم وعاتبوهم فيه.

فطلب النجاشي هؤلاء المهاجرين وسألهم عن حقيقة دينهم فتقدم جعفر بن أبي طالب ووصف له حالة العرب قبل الإسلام وبعده ، وشرح له أن دعوة الرسول ﷺ ترمي

إلى ترك الأوثان ، وعبادة الله والتخلق بمكارم الأخلاق ، فقال له النجاشي ، هل معك مما جاء به من الله شيء – فقال جعفر نعم – فاقرأه علي – فقرأ جعفر عليه صدراً من سورة مريم ، وفيها حديث عن ميلاد المسيح – فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكى أساقفته حتى ابتلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم – ثم قال النجاشي لمبعوثي "قريش" إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة اتفاقاً ، فلا والله لا أسلمهم إليكما.

وقد بقى المهاجرون من المسلمين في الحبشة ، وقد أكرمهم النجاشي وأمنهم على حياتهم وأصبحوا في رغد من العيش ، وقد رجع بعضهم فيما بعد إلى مكة قبل هجرة الرسول إلى المدينة وأقام بعضهم في الحبشة إلى السنة السابقة للهجرة.

واستمرت العلاقات بين الجزيرة العربية والحبشة بعد ذلك ، وأصبح العرب يترددون أكثر عليها ، واستقر بعضهم هناك ، وقيل أن أول مسلم هاجر إلى الحبشة واستقر بها هو ود بن هشام المخزومي ، وكان ذلك في خلافة عمر بن الخطاب.

على أن الأحداث السياسية في الدولة الإسلامية أدت بعد ذلك إلى زيادة الهجرة إلى الحبشة والاستقرار بها – فالحبشة بموقعها الجغرافي وخصبها ، واعتدال مناخها ، وتنوع مواردها – كانت مغرية للراغبين في الهجرة للعمل سواء في الزراعة أو الرعي أو التجارة.

على أنه على الرغم من أن الصلات بين الأحباش والمسلمين – كما ذكرنا – كانت في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام – طيبة وودية فقد بدأت بعض الاحتكاكات بين الأحباش والدولة الإسلامية – بعد ذلك منذ عهد عمر بن الخطاب.

في عام ٢٠ هـ أرسل الخليفة سرية من المسلمين في البحر بقيادة علقمة بن مجزر المدلجي لمهاجمة الحبشة – ولا تعطينا المراجع تفسيراً لهذا الصدام الذي وقع بين الأحباش والعرب – لكن تذكر المراجع أن ميناء جدة تعرض لغارات الأحباش مما اضطر المسلمين لرد هذا العدوان.

وفي عام ٨٣ هـ اضطر المسلمون لاحتلال جزر دهلك القريبة من مصوع وذلك لضمان مراقبة تحرك الأحباش ، وقد وجدت بهذه الجزر نقوش عربية وشواهد قبور ترجع إلى منتصف القرن الثالث الهجري مما يدل على أن العرب المسلمين كان لهم وجود بهذه الجزر حتى هذا التاريخ ، ويبدو أن دهلك أصبحت لها أهميتها كمركز مراقبة ، وكمحطة تجارية بين شبه الجزيرة العربية والحبشة.

ونشير إلى أن عدداً من القبائل العربية هاجرت واستقرت في السهول الساحلية المحيطة بأرض الحبشة ، وقد توالت الهجرات لهذه السهول التي كانت في طبيعتها الصحراوية أو شبه الصحراوية شبيهة بما اعتاده العرب في بلادهم.

وبمضي الوقت تحولت المراكز الإسلامية إلى إمارات أو ممالك إسلامية أطلق عليها البعض اسم إمارات أو سلطنات الزيلع الإسلامية ، وأطلق عليها المقريزي ممالك اسم الطراز الإسلامي.

ومن الشعوب التي كونت هذه الممالك أو السلطنات البجة ، والأغفار (الدناكل) والصوماليون والجالا.

ومن أهم هذه الممالك والسلطنات – سلطنة أوفات ، وسلطنة عدل ومملكة فطجار ، ومملكة دوارد ، ومملكة بالي ، ومملكة داره ، وسلطنة شوا ، ومملكة هدية ، ومملكة شرخة – وقد امتدت هذه الممالك من ميناء مصوع شمالاً إلى إقليم أوجادين جنوباً ، ومن رأس غوردفواي شرقاً إلى أطراف الهضبة الحبشية غرباً.

وإن لم تتوحد هذه الممالك الإسلامية تحت سلطنة إسلامية واحدة – لكن ظهرت واحدة أو أخرى من هذه الممالك كقوة كبرى ، فمثلاً ظهرت مملكة شوا الإسلامية التي بلغ أوج عظمتها في القرن السادس الهجري [٣١].

وقامت مملكة إسلامية وإمارات على حين تحصنت النصرانية في مرتفعات وحدثت حروب بين أصحاب الديانتين كان النصر في أغلب الأحيان ، جانب المسلمين، ولم يبق للأحباش سوى أجزاء بسيطة في أعالي الهضبة.

كان للأحباش اتصال دائم مع ملوك أوربا للعمل سوية ضد المسلمين ، وقد ظهر هذا خلال أوقات متباعدة ، فعند الغزو الصليبي قدم الأحباش المساعدات فأصلح لهم دير خاص في بيت المقدس وحرصت الحبشة على مساعدة الملك النصراني وتحريضه على غزو مصر ، وكان أثر ذلك غزو الإسكندرية عام ٧٦٧ هـ وأقدمت الحبشة على القيام ببعض الأعمال التخريبية إلى أن تحرك الجيوش المملوكية قد حال دون استمرار أعمال الأحباش.

وعندما فتح المماليك في مصر جزيرة قبرص عام ٨٣٠ هـ (١٤٢٧م) اتصل الأحباش بملوك أوربا للعمل ضد المماليك ، وقد تجاوب مع ذلك ملك فرنسا ملك أرغونة وهدد ملك الحبشة المماليك بالقيام بغزو لبلاد العرب والأماكن المقدسة وتحويل مجرى نهر النيل.

واتصلت الحبشة بالبرتغاليين طلائع المستعمرين الذين قدموا من الجنوب بعد التفاهم حول أفريقيا ، ووعدت البرتغال بتقديم مساعدات للأحباش في قتالهم ضد المسلمين ، ولكن لم يلبث أو وقع الخلاف بين الفريقين بعد دخول البرتغاليين إلى الحبشة عام ٩٢٨ هـ (١٥٣٤م) إذ حاولوا فرض المذهب الكاثوليكي ، وترك البرتغاليون الحبشة بعد هزائمهم أمام المسلمين بعد ست سنوات.

وفي مطلع القرن العاشر حملت راية الجهاد في شرق الحبشة إمارة عدل ووصل نفوذها إلى حافة الهضبة في الوقت الذي كان العثمانيون يدخلون من بلاد العرب ليوحدوا المسلمين ويقفوا في وجه البرتغاليين وأطماعهم في المنطقة ، إلا أن حكام إمارة عدل قد اضطروا فيما بعد إلى مسالمة الأحباش بعد أن هزموا أمامهم.

ثم حملت إمارة هرر راية الجهاد وأسلمت الشعوب البدوية مثل الدناقل وغيرها وشجع الهرريين وصول العثمانيين إلى المنطقة ووقوفهم في وجه الخلف البرتغالي الحبشي إذ دعموا سلطان هرر أحمد بن إبراهيم الملقب بالقرين وأمدوه بالأسلحة فاستمرت غزواتهم في الحبشة خمسة عشر عاماً ، وكانت النتائج أن دخل سلطان هرر أجزاء من

هضبة الحبشة ، وعاد إلى الإسلام عدد من الذين سبق لهم أن تنصروا تحت ضغط الأحباش ، كما بدأت قبائل الجالا الوثنية تدخل في الإسلام ، كما أن هذه القبائل قد استغلت الخلاف الذي حدث بين الأحباش والبرتغاليين فشقت طريقها إلى الهضبة من الجنوب.

وازداد عدد المسلمين في القرن الحادي عشر الهجري ، ودخل التجار الكانميون إلى بلاد الحبشة فأسلم على أيديهم كثيرون ، واتجه المظلومون من الأحباش إلى عدالة الإسلام ، وكان المسلمون من الأحباش ذوي مكانة اجتماعية وثقافية وخلقية، معروفين بالجد في العمل والأمانة في المعاملة ، وقد عرف لهم هذا الأحباش حتى الذين كانوا على غير دينهم غير أن بعض المتعصبين من النصارى كثيراً ما كانوا يسيئون إلى المسلمين ، ويصرون على إقصائهم عن الوظائف الرسمية ، ومع هذا فقد وجد الإسلام طريقه إلى كثير من الزعماء ، وكان أحد رؤوس من نواب الملك في القرن الثالث عشر مسلماً وهو (الرأس علي) وفي عهده تحول نصف أهالي الولايات الوسطى إلى الإسلام.

واهتم المهديون في السودان بالإسلام في الحبشة ، واتخذوا بلدة (القلابات) في شرقي السودان مركزاً للدعوة ، ورغم الإجراءات الصارمة التي اتخذها ملوك الحبشة النصارى ضد المسلمين فقد دخلت قبائل كاملة في الإسلام وكانت من قبل تدين بالنصرانية ، وقد أثار هذا حفيظة الحكام الأقباط فأصدر الملك علم ١٢٩٦هـ (١٨٧٨م) قراراً يجعل التعميد إجبارياً للسكان سواء أكانوا من النصارى أم من المسلمين ، وقد أجبر أكثر من خمسة وخمسين ألفاً من المسلمين على التعميد ، وأخرجت ألوف أخرى من منازلهم ، وأبيدت جماعة ثالثة [٣٢].

ب) إسلام أريتريا :

دخل الإسلام أريتريا مع شعاعه الأول .. حين هاجر إليها المسلمون فارين بدينهم نازلين على نصيحة نبيهم ﷺ أن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد.

وانتشر الإسلام على أيدي صحابة رسول الله ﷺ مع الفطرة السائدة في المكان وتوالت هجرات المسلمين ، ورحلات التجار إلى موانئ أريتريا على شاطئ البحر الأحمر في مواجهة الجزيرة العربية التي عمها الإسلام ، وظل الشعب متمسكاً بإسلامه رغم ما تعرض إليه من غزو دحر أكثره (٣٣).

دخل الإسلام في مناطق شمال أريتريا وغربها عن طريق التجار العرب والعلماء الذين استقروا بين ممالك البجة وحول مناجم الذهب في هجر وغيرها منذ القرن التاسع الميلادي.

فعلى أثر تكرر غارات القراصنة على ميناء جدة في عامي ٦٣٠م و ٦٤٠م من عدوليس التي وصلت إدارتها إلى مرحلة الذبول نتيجة الصراع الروماني الفارسي الذي أقحم اليمن وأكسوم في حروب طويلة ، اضطر العرب الأمويون إلى الاستيلاء على جزر دهلك وشاطئ مصوع وعدوليس في عام ٨٤ هـ الموافق (٧٠٢م) وأقام الأمويون هناك القلاع والحصون وأمنوا طرق التجارة ، فازدهرت البلاد وتشجع العرب على استيطان المنطقة وتعميرها.

وأصبحت هذه المنطقة بحكم موقعها على الساحل المقابل لجنوب الجزيرة العربية ، المجال الحيوي للجماعات التي خرجت من الجزيرة العربية للتجارة وطلب الرزق أو لاتخاذ مواطن جديدة هرباً من حالات الذعر التي سادت الجزيرة العربية والعالم الإسلامي بسبب حروب الردة ، ثم حروب الأمويين والعباسيين وحروب العباسيين مع العلويين.

وكانت القرون الثلاثة التي تلت القرن السابع الميلادي فترة تصاهر فيها العرب النازحون مع قبائل البجة التي اكتسحت المنطقة والقبائل الكوشية القديمة ، وعن طريق المصاهرة والتجارة انتشر الإسلام حتى أن المؤرخ الإيطالي كونت روسي يشير إلى قيام ولايات إسلامية عربية مزدهرة في دهلك والشواطئ الأرترية في القرن الثامن الميلادي.

ويعتقد أن قبائل الدناكل في جنوب أريتريا والسمهر في ضواحي مصوع تعد من أقدم سكان إريتريا اعتناقاً للإسلام ، كما انتشر الإسلام بين قبائل الساهو التي تسكن في

المنطقة الممتدة من خليج زولا إلى مرتفعات أكلي قوازي في القرن الرابع عشر عن طريق أسر دينية عربية أشهرها أسرة (بيت شيخ محمود) التي تسكن زولا وتدعي الانتساب إلى الزبير بن العوام ، أما قبائل الساحل والبني عامر فقد انتشر الإسلام بينها ابتداء من القرن العاشر الميلادي ، ويذكر تجار البندقية في القرن الخامس عشر قبيلة بيت معلا كقبيلة إسلامية تعيش في سواحل شمال اريتريا ، وهو موطنها حتى الآن مع امتدادها إلى منطقة بركة ، ولعل لعائلة (عد شيخ حامد ولد نافعوتاي) تأثير كبير في نشر الإسلام بين قبائل الحباب والبني عامر ، وتنتمي هذه الأسرة إلى أشراف قريش ، وقد قدمت إلى إريتريا عن طريق السودان ، ولها حتى الآن زوايا لتعليم الدين في (زفا شيخ) في محافظة الساحل ، كما لها مركز آخر في (امبيرمي) على بعد ١٥ كيلو متراً شمالي مصوع ، وتعمر القرية بأضرحة الأولياء من هذه الأسرة الدينية.

وخلال القرن التاسع عشر تحول عدد من القبائل الناطقة بالتجري والتي كانت تعتنق المسيحية ، إلى الإسلام ، ومنها الماريا والمنسع والبلين والبيت جوك والحباب بفروعها الثلاثة (بيت أسقدي ، عد تكليس ، عتماريام) وكانت أسر حاكمة نزحت من هضبة حماسين إلى المرتفعات الشمالية واخضعت لسلطانها قبائل التجري الكثيرة العدد، كما اعتنقت قبيلة الباريا في وادي القاش الإسلام ، وكانت من قبل وثنية ، وكذلك بعض من قبيلة البازا.

ويعود إسلام هذه القبائل إلى جهود السيد محمد عثمان المرغني ، مؤسس الطريقة الختمية الذي أوفده شيخه أحمد بن إدريس من مكة في عام ١٨١٧ وبصحبته السيد محمد على السنوسي ، مؤسس الطريقة السنوسية ، حيث افترقا بعد وصولهما إلى مصر ، فتوجه الأول صوب الجنوب إلى السودان ثم إريتريا ، وعاد بعد أن نشر الإسلام والطريقة الختمية إلى مكة ، مخلفاً عدداً من الأبناء واصلوا بعده جهوده ، بينما توجه الثاني إلى شمال أفريقيا وأسس طريقته هناك.

وهناك أسر دينية أخرى أقامت الزوايا لتعليم القرآن والدين في مختلف البقاع الإريترية ، وأشهرها (عد شيخ) في الساحل و (عد سيدنا مصطفى) في بركة ، و(بيت

درقي) و(عد معلم) في شمال إريتريا وغربها و (بيت الشيخ إبراهيم الخليل) في طيعو في دنكاليا وعائلة (كبيري) في الهضبة الإريترية وكانت بالأصل تقيم في جزر دهلك ، وهذه كلها بيوتات دينية كانت تتوارث تدريس الدين وتحفيظ القرآن مكرسة جهودها لرسالتها ، وتعيش شظف العيش معتمدة في إعاشة طلابها على هدايا عامة المسلمين وأثريائهم ، وتنتسب إلى العرب بصلة الرحم ، وكان يبرز من بينها ومن عامة المسلمين فقهاء ينبغون في العلم واللغة العربية ويتلقون علومهم في زبيد أو المدينة المنورة أو الأزهر ، وعرفت قرية زولا بالزوايا لتعليم الدين وقد تخرج منها عدد من الفقهاء.

وقد انتشر الإسلام في الهضبة الإريترية بين قوم عرفوا باحتراف التجارة يطلق عليهم (الجبرتة) وهي كلمة أطلقت أيضاً على أماكن وأقوام مختلفة في العصور الوسطى ، فسميت (إيفات) في قلب هضبة (شوا) داخل أثيوبيا بالجبرتة ، كما سميت زيلع في ساحل الصومال بهذا الاسم ، بل أطلق هذا الاسم في بعض الأحيان على عموم مسلمي الحبشة ، وفي الأزهر في القاهرة رواق قديم يعرف برواق الجبرتة ، ويذكر الحيمي في كتابه (سيرة الحبشة) (١٦٦٥م) أنه التقى بزعيم (آل كبيري صالح) في أندرته بهضبة التجراي ويقول أن أسرته تقوم في كل بلاد الحبشة بنشر الإسلام وتعليمه.

وهكذا انتشر الإسلام في سواحل إريتريا وأجزائها الشمالية والغربية وفي قسم من هضبتها عن طريق عدوليس وباضع ، وهي الطريق نفسها التي دخلت منها المسيحية من قبل ، ولم تحدث بين أتباع الطائفتين احتكاكات أو حروب دينية ، بل تعايش السكان بما عرف عنهم من تسامح وبما كان بينهم من وحدة الأصول والمصالح التجارية والزراعية والرعوية المشتركة ، تعايشوا بسلام وفق شعار (لكم دينكم ولي دين) حتى تدخلت قوى أجنبية في القرن السادس عشر – برتغال وأتراك – جرت أهل البلاد إلى صراعات طائفية (٣٤).

على أن انتشار الإسلام لم ينحصر في السواحل الإريترية ، بل امتد عبر أريتريا إلى داخل الحبشة حتى تألفت سبع ممالك إسلامية عربية عرفت ببلاد الطراز الإسلامي ،

ويعزو أولندورف (Ullendroff) في كتبه الأثيوبيون (The Ethiopuans) سرعة انتشار الإسلام بين الأقوام الحامية الكوشية في سواحل أريتريا ودواخل الحبشة حتى بحيرات عروسي على مقربة من الحدود الكينية الحالية ، يعزو ذلك إلى رغبة هؤلاء القوم في النجاة بأنفسهم من الاسترقاق ، إذ كانت قسوة تجار الرقيق بالغة ، وكان اعتناق الإسلام يمنح هؤلاء أماناً من غارات تجار الرقيق باعتبار أن الإسلام يمنع استرقاق المسلم وأن اعتناق هؤلاء للإسلام كان يشعرهم بالانتماء إلى أخوة عالمية، من دون أن يكلفهم ذلك الانسلاخ من بيئتهم وعاداتهم التي كان دعاة الإسلام يتسامحون إزاءها.

ازدهار إمارة دهلك :-

اكتسبت إمارة دهلك أهمية تجارية كبيرة في العصور الوسطى ، واستقل سلطانها عن صاحب اليمن وقد كان من قبل تابعاً له ، إلا ما كان من علاقة المداراة والاسترضاء عن طريق إرسال الهدايا من الرقيق والعسل والشمع.

ووسع مملكته حتى شملت جزر باضع ومناطق الساحل الأريتري ، وأجبر القبائل المجاورة على دفع الضريبة لعامله في باضع (مصوع)

وصحب الانتعاش الاقتصادي نوع من الانتعاش الثقافي ، فاستقر فيها العلماء وتأسست فيها زاوية لتعليم الدين واللغة ، وتدل الخطوط الكوفية الجميلة التي وجدت منحوتة بكثرة في الأضرحة والقبور والمساجد والقصور إلى انتعاش حركة الثقافة ، وقد أشار كل من المسعودي وابن حوقل إلى ازدهار التجارة في جزر دهلك وخاصة تجارة الرقيق السيئة الصيت.

ويتحدث سكان دهلك اليوم لهجة (تجري) محرفة تمتزج فيها ألفاظ من اللهجات الدنكلية والعربية والتجرينية ، دلالة على الصلة التاريخية للجزر بالأقاليم المجاورة ، وانتقال السكان واختلاطهم لأغراض التجارة والحروب والتعليم [٣٥].

ذهبت أعداد من شيراز من بلاد فارس إلى سواحل أفريقية الشرقية وتفرقوا في أنحائها ، كما هاجرت مجموعة من الإحساء في شرقي جزيرة العرب ، واتخذت مقامها هناك.

استقر هؤلاء المسلمون جميعاً على طول الساحل الشرقي لأفريقيا من القرن الأفريقي في شمال بلاد الصومال وحتى مدينة (سفالة) في بلاد موزمبيق على خط عرض ٢٠ جنوباً ، ولم يتوغلوا إلى الداخل كثيراً ، وكانت مهمتهم تجارية في أغلب أمرها ، وإن كانت التجارة قد يسرت في كثير من الأحيان سبل الاتصال بالسكان ودعوتهم إلى الإسلام.

استطاع هؤلاء المسلمون أن يؤسسوا مراكز تجارية كبيرة من أشهرها (كلوة) و(دار السلام) و(سفالة) وقد زار هذه المراكز الرحالة المسلم "ابن بطوطة" ووصفها وصفاً جميلاً ، كما أعجب بهذه المدن البرتغاليون عندما جاءوا مستعمرين نظراً لنظامها ونظافتها.

أسس المسلمون في هذه المناطق إمارات وممالك متعددة ، ولم تكن متحدة فيما بينها الأمر الذي جعلها ضعيفة لا تثبت طويلاً أمام قوة البرتغاليين الذين كانوا طلائع المستعمرين في تلك الجهات ، ومن أشهر هذه الممالك مملكة الزنج التي تأسست في القرن الرابع ، وكانت حاضرتها مدينة كلوة في جنوبي تانزانيا اليوم ، وقد استطاعت هذه المملكة أن تنشر الإسلام في كل ما يسمى اليوم "زامبيا وموزمبيق ، ومالاوي" وبلغت جهودها في هذا السبيل روديسيا [٣٦].

جـ) الصومال :

دخل الإسلام في الصومال منذ أيامه الأولى ، ورغم اختلاف الآراء حول تاريخ دخول الإسلام في الصومال . إلا أن أقرب الأدلة الراجحة إلى الحقيقة ما ذهب إليه بعض المؤرخين من أن الإسلام ظهر في الصومال قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة عن طريق الصحابة المهاجرون إلى الحبشة.

ظهر الدين الإسلامي في الصومال الذي يحيط به من الشمال الغربي – الحبشة المسيحية ، وفي الغرب جاله الوثنية ، فكان لزاماً على الشعب الصومالي المسلم حمل راية الدعوة الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي ، ورغم محاربة الأحباش لانتشار الدين الإسلامي إلا أنه يبدو أن فترة قد مضت دون أن تجد الحبشة فرصة لمحاربة انتشار الإسلام ومقاومته بسبب :-

أولاً : انشغال الحبشة بالصراع الدموي الذي قام به المسيحيين واليهود الذين اغتصبوا عرش الحبشة من سنة ٩٢٥ – ١٢٥٥م.

ثانياً : لم يكن للحبشة تنظيم سياسي أو حكومة مركزية قوية تقف في وجه التيار الإسلامي الجارف.

هذا أدى إلى إيجاد فرصة لتأسيس (الإمارات الزيلعية السبع) أو دول الطراز الإسلامي التي كانت في صراع مستمر مع الحبشة لفترة طويلة من الزمن ، وهذه الإمارات هي :-

١- إيفات. ٢- دواوا. ٣- أر ابيني. ٤- هديا

٥- شرخا. ٦- بالي. ٧- درة.

وهي عبارة عن سبع محافظات يتولى شئون كل منها حاكم صومالي مستقل ذاتياً . ويرجع الفضل في تأسيس هذه الإمارات إلى المهاجرين العرب [٣٧].

أما الصراع الإسلامي الصومالي مع الحبشة المسيحية فقد استمر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر إلى أن تولى عرش الحبشة "لبنا دنقل" Lebna Dengel (١٥٠٨ – ١٥٤٠) ، وقد أثارت أنباؤه الاهتمام في أوربا.

وكان مجئ البرتغاليين نذيراً لا يمكن تجاهله ، فسعوا إلى الاستيلاء على السواحل الصومالية حتى يتمكنوا من القضاء على النفوذ الإسلامي والتجارة العربية وبذلك يخلو أمامهم طريق التجارة الشرقية ، وأدرك المسلمون من الصوماليين والدناقلة وغيرهم أن

تحالفاً بين الأحباش والبرتغاليين المسيحيين فيه دمارهم وسوف ينتهي الأمر بخضوعهم للاستعمار الأجنبي [٣٨].

وتزعم الجهاد ضد هذه القوى المسيحية التي شاركت فيها البرتغال مع الأحباش الزعيم المسلم والإمام الغازي أحمد بن إبراهيم الذي كان لجهاده أثر كبير في نشر الإسلام في شرق القارة ، حيث شهد القرن السادس عشر دخول قبائل البدو في حركة الجهاد الإسلامي.

وقف الإمام أحمد بن إبراهيم أمام غزو الأحباش الذين اندفعوا إلى غزو إمارة هرر الإسلامية عام ١٥٢٧ وهزم الأحباش وانتصر عليهم في ١٥٢٩ وواصل غزو الحبشة من الداخل ، وفي ١٥٣١ دخل منطقة شوا وأمهرة واستطاع المسلمون السيطرة على جنوب الحبشة عام ١٥٣٥ فاستنجد الأحباش بالبرتغاليين الذين أرسلوا قوة قوامها يزيد عن أربعمائة جندي من حملة البنادق لمناصرة الأحباش ضد هذا الجهاد الإسلامي ، مما أعطى المعارك طابعاً صليبياً [٣٩].

ولكن في عام ١٥٤٠ مات الإمبراطور "لبنا دنقل" وخلفه ابنه الإمبراطور "جلاديوس" الذي انتصر على الصوماليين في معركة رهيبة بالقرب من بحيرة تانا [٤٠].

الجدير بالذكر أن الأتراك كان لهم دور هام في مساندة مسلمي الصومال ضد مسيحي الحبشة والبرتغال ، فقد قدم الأتراك المال والأسلحة إلى ا لصوماليين عند اندلاع الحرب بين الجانبيين وذلك عن طريق حاكم "زبيد" باليمن ، كما كان شريف مكة يمدهم بالمساعدات المالية والعسكرية ، وفي نفس الوقت نجد أن كلاً من تركيا والبرتغال كانت تهدف إلى السيطرة على البحر الأحمر والهيمنة على المراكز التجارية[٤١] وفي ١٥٥٩ شنت القوات الصومالية هجوماً بالتعاون مع هرر قتل فيه "جلاديوس" وبالرغم من الانتصار فإن الحبشة المسيحية نجت وزال الأمل في إقامة دولة إسلامية فيها [٤٢]. وقد انحسر نفوذ الصوماليين في هرر وملحقاتها بالتدرج [٤٣]. حتى وقعت الصومال في قبضة الاستعمار الأوربي.

obeikandi.com

هوامش الفصل التمهيدي

١- د. عبد القادر محمود : الفكر الصوفي في السودان ، مصادر وتياراته وألوانه ، دار الفكر العربي ١٩٦٨ – ١٩٦٩ ، ص ٤٢ ، ٤٣

٢- د. شوقي عطاالله الجمل ، د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم ، تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم ، دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٢٦.

٣- د. إسماعيل أحمد ياغي ، محمود شاكر : تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، جـ٢، قارة أفريقيا ، دار المريخ للنشر ، السعودية ، ١٩٩٣ ، ص ١٩٤.

٤- نفسه ، ص ٢٠٤

٥- د. عبد القادر محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣ – ٤٥

٦- د. فرغلي على تسن : قبائل الشلك في جنوب السودان وتجارة الرقيق فيها ١٨٢٠-١٨٧٧، مجلة كلية الآداب فرع دمنهور جامعة الإسكندرية ، العدد الثالث ١٩٩٩ ، ص ٢٣٧.

٧- د. شوقي عطاالله الجمل ، د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم ، ص ٢٢ ، ٢٣.

٨- د. جميل عبد الله محمد المصري : حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ، جـ٢ ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٩٨٦ ، ص ٤٠٩.

٩- د. الجمل ، د. عبد الله عبد الرازق ، ص ٢٦ ، ٢٧.

١٠- د. ياغي ، شاكر ، ص ٢٥٢.

١١- عثمان صالح سبي : تاريخ أرتريا ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤ ، ص١٢٢ ، ١٢٣.

١٢- د. الجمل ، د. عبد الله عبد الرازق ، ص ٢٧.

١٣- د. سعد زغلول عبد ربه "البرتغاليون والبحر الأحمر ، سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث ، جامعة عين شمس (البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة) ١٩٨٠ ، ص ٢١٨ – ٢٢٠.

١٤- د. مصطفى خالدي ، د. عمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية – عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٢٤٤ – ٢٤٦.

١٥- د. جميل المصري ، ص ٤١١.

١٦- د. الجمل ، د. عبد الله عبد الرازق ، ص ٥ – ١٣.

١٧- د. ياغي ، شاكر ، ص ٢٢٤.

١٨- د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم : المسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٩ ، ص ٣٨ ، ٣٩.

١٩- نفسه ، ص ٤٤ ، ٤٨.

٢٠- نفسه ، ص ٤٨ ، ٤٩.

٢١- د. ياغي ، شاكر ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦.

٢٢- د. الجمل ، د. عبد الله عبد الرازق ، ص ٨٩.

٢٣- د. ياغي ، شاكر ، ص ٢٠٦.

٢٤- د. الجمل ، د. عبد الله عبد الرازق ، ص ٨٩ ، ٩٠.

٢٥- أحمد طاهر : أفريقيا – فصول من الماضي والحاضر ، دار المعارف ، مصر، ١٩٧٥ ، ص ٧١ – ٧٣.

٢٦- د. ياغي ، شاكر ، ص ٢٠٧.

٢٧- د. الجمل ، د. عبد الله عبد الرازق ، ص ٩٠ ، ٩١.

٢٨- د. ياغي ، شاكر ، ص ١٩٤ ، ١٩٥.

٢٩- د. الجمل ، د. عبد الله عبد الرازق ، ص ٩٢ ، ٩٣.

٣٠- د. ياغي ، شاكر ، ص ١٩٥.

٣١- د. الجمل ، د. عبد الله عبد الرازق ، ص ٢٣ – ٢٦.

٣٢- د. ياغي ، شاكر ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣.

٣٣- د. على جريشة : حاضر العالم الإسلامي ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، السعودية ، ١٩٨٦ ، ص ١٤٥.

٣٤- عثمان صالح سبي ، ص ١١٦ – ١١٩.

٣٥- نفسه ، ص ١٢٠ ، ١٢١.

٣٦- د. ياغي ، شاكر ، ص ٢٥٩.

٣٧- محمد فرد السيد حجاج : صفحات من تاريخ الصومال ، دار المعارف، ١٩٨٣ ، ص ٩،٨

٣٨- د. راشد البراوي : الصومال الكبير – حقيقة وهدف ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦١ ، ص ٢٠ ، ٢١.

٣٩- د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٢٠.

٤٠- د. راشد البراوي : المرجع السابق ، ص ٢٢.

٤١- محمد فرد السيد حجاج : المرجع السابق ، ص ١٩.

٤٢- د. راشد البراوي ، ص ٢٢.

٤٣- محمد فرد ، ص ٣٦.

Obeikandi.com